

من اقوال الآباء

— ٨ —

تأملات
إنجيل القديس متى
للقديس بومناز هبى الفم

الجزء الأول

(عن ميلاد المسيح)

أعداد

محلّة رسالة الكهنه

بمحبه لى تيماريل بومناز

تأمل
٢
إنجيل القديس متى
للقديس يوحنا ذهبي الفم

الجزء الأول

(عن ميسلاد المسيح)



صاحب القبطية الحسيبر الأعظم

قداسة البابا شنودة الثالث



صاحب القداسة نيافة الحبر الجليل

الانبا باخوميوس

أسقف البحيرة ومطروح والحمس مدن الغربية

مقدمة

يعتبر القديس يوحنا ذهبي الفم — بطريرك القسطنطينية — من أعظم علماء الكنيسة اليونانية ، وأكثرهم شهرة في الوعظ والتعليم ، حتى لقبوه « بقم الذهب (١) » ، و « قم السيد المسيح » . . .

وأصبح هذا اللقب ملازماً لإسمه على مدى الأجيال ، ولم يطلق على غيره من علماء الكنيسة سواء في الغرب أو الشرق . . وقد أطلق عليه البعض إسم « خطيب المدينتين » لشهرته في الوعظ في مدينتي إنطاكية القسطنطينية (٢) . .

وكانت مواعظه تتميز بأنها عملية أكثر من كونها تعليمية أو فلسفية .. فقد كان يشير إلى الكتاب المقدس أثناء العظة ويقول « إن الكتاب المقدس هو القانون الحق وأساس كل تعليم صحيح . . » .

وكان يجتهد ألا يخرج عن الموضوع الأصلي ، ولا يميل إلى إستخدام الألفاظ المهمة (٣) .

(١) — كريز وستوم Chrysostom وبالإنجليزية Golden Mouthed

وبالفرنسية Bouché D'or

(٢) — حالياً تسمى إستانبول .

(٣) — أنظر كتاب « مقالات يوحنا قم الذهب » إصدار دار العرب للإبستاق الطبعة الأولى

سنة ١٩٦٥ م .

وقد فسر هذا القديس أسفاراً كثيرة من الكتاب المقدس في العهد القديم ، وفسر انجيلي متى ويوحنا ، ومعظم رسائل بولس الرسول . . وكتب مئات من العظات الروحية والتقوية .

وإن كانت كل مؤلفاته لم تنشر بعد ، إلا أن الجزء الأكبر منها طبع بلغات كثيرة ، وإهتم بترجمتها أكبر المعاهد العلمية ودور النشر في العالم . .

لذلك إهتمت لجنة الثقافة القبطية بكنيسة الملاك ميخائيل بدمهور ، بنشر تأملاته الجميلة في إنجيل القديس متى ، على أن يصدر في أجزاء متتابعة في القريب العاجل إن شاء الله . . . وقد اخترنا تسع تأملات عن ميلاد المسيح لكي تكون مناسبة عيد الميلاد الحيد . . أعاده الله علينا بالسلام والخير والبركة . . .

تحت رعاية صاحب القداسة نيافة الحبر الجليل

الانبا باخوميوس

أسقف البحيرة ومطروح والخميس مدن الغربية

ورئاسة صاحب القداسة غبطة البابا المعظم

الانبا شنودة الثالث

أدامهما الله ذخرا لأكنيسته ومجداً لإسم الله القدوس ، بشفاعة العذراء أم النور ورئيس الملائكة الجليل ميخائيل والشهداء والقديسين . . بركتهم المقدسة تكون معنا آمين . .

القمص ميخائيل جرجس

بدمهور

مختص نازخ حياة القديس متى الرسول

نشأته :

نشأ هذا الرسول في قانا الجليل . حيث صنع السيد المسيح معجزته الأولى ، بأن حول الماء خمرًا

ولهذا القديس إسم آخر هو لاوى بن حاننا . وبهذا الاسم كان يدعو به بقية الانجيليين . بحيث لا يستدل من هذا الاسم على وظيفته (١) .

وكلمة « متى » كلمة ارامية معناها « عطية أو هبة الله » ، ويرجع بعض الكتاب بأن السيد المسيح هو الذى أطلق عليه هذا الاسم ، كما لقب سمعان ببطرس . ولكن هذا رأى ليس له سند قوى لأن القديس متى كان مشهورا بهذا الاسم في كل اليهودية .

دعوته :

كان « متى » جالسا عند مكان الجباية خارج مدينة كفر ناحوم في الطريق المؤدية إلى الميناء حينما اجتاز من هناك السيد المسيح ، ووقف ازاء الجباية .. ويقول القديس ايرونيموس « ان السيد المسيح بنظرة واحدة منه نزع كل الشر الموجود بقباب ذلك العشار المحب للمال (٢) ، ومن ثم لما قال له — رب القلوب — اتبعنى ، قام حالا وترك كل شيء ، وتبع المسيح وتتامذله علانية (٣) .

(١) — العشارون هم الذين كانوا يجبون الجزية عند اليهود من قبل القياصرة الرومان ومن ثم كانوا مبغضين جدا من اليهود ، بل كانوا بمنزلة الخطاة واللوثنين .

(٢) — انظر كتاب « مروج الاختيار في تراجم الابرار » صفحة ٥٢ » .

(٣) — (مت ٩ : ٩) .

ويقول بعض الكتاب أن دعوة « متى » لم تكن مفاجأة له حينما دعاه السيد المسيح ، وذلك لانه كان معينا في وظيفة الجباية في كفر ناحوم التي اتخذها يسوع موطنه له - لذلك يقول البشيريون انه في طريقه من البيت الذي اجريت فيه معجزة الرجل المفلوج ، أبصر « متى » وقال له اتبعني « فقام وتبعه ، لأنه سمع عن المسيح وعن معجزاته . ولذلك دون العظة على الجبل بكل اسباب وتفصيل أكثر من الآخرين ، وايضا اقتباساته الكثيرة من التوراة والانبياء ، حتى نلاحظ أن له عبارة جميلة يكررها كثيرا في كتاباته وهي « لكي تكمل الكتب » ، وايضا « لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل ».

اختبارات مع الرب يسوع :

لم يذكر الكتاب المقدس شيئا يذكر عن هـ... هذا القديس ، إلا الوليمة التي صنعها بعد توبته مباشرة . . وهذه تدل دلالة واضحة عن محبة هذا القديس للناس ، فبعد أن تبع المسيح صنع له وليمة كبيرة في بيته ودعى اليها عدد كبير من زملائه العشارين . . وهذا دليل واضح على انه اراد أن يجذب زملاءه إلى الايمان ، بسماع كلام المخلص وتعاليمه الإلهية . . .

وقد تدمر الكتبة والفريسيون في هذه الوليمة على المسيح لأنه يأكل مع العشارين والخطاة ، لذلك قالوا لتلاميذه « ما باله يأكل ويشرب مع العشارين والخطاة ، فلما سمع يسوع قال لهم : لا يحتاج الاصحاء إلى طبيب بل المرضى . فاذهبوا وتعلموا ما هو ، إني أريد رحمة لأذبيحة ، لاني لم آت لأدعو أبراراً بل خطاه إلى التوبة (١) .

(١) - مت ٩ : ٩ ، مر ٢ : ١٤ ، لو ٥ : ٢٧ .

بعد صعود المسيح إلى السماء وحلول مواهب الروح القدس على التلاميذ يوم الخمسين . . كرز هذا القديس مع باقى الاثنى عشر فى اليهودية ثلاث سنوت منذرا اليهود بالتوبة والإيمان . . فلما أزمع الانتقال إلى الأقاليم البعيدة طالب منه المؤمنون من اليهود ان يكتب لهم الانجيل المقدس . فكتبه باللغة العبرانية (١) .

والرأى المعول عليه بين العلماء أن القديس « متى » بعد خروجه من اليهودية مضى إلى بلاد الحبشة (٢) من جنوبي بلاد مصر إلى مدينة نادابير ، حيث قابله الوزير الخصى - الذى عمده القديس فيلبس - فرحب به فى بلاط مملكته وفرح بقدومه . .

وقد صادف الرسول فى هذه المدينة ساحرين عظيمين ، وكانا قد خدعا الشعب بحيل شيطانية ، فطفق القديس يكشف للشعب حيلهما ، وبطلان افعالهما الخبيثة . . فن شتم عزمًا على الانتقام منه ومن الشعب الذى تبعه ... فبواسطة السحر جذبا إلى المدينة تينين هاتلين ، لكى يخيفا بهما الشعب . . فتقدم القديس وصاب (٣) عليهما فصارا مستأنسين . . وامرهما أن يرجعا إلى كهفهما فاطاعا على الفور . .

معجزاته :

وفى أثناء كرازته ببلاد الحبشة ماتت إحدى بنات ملك الحبشة فدعا الملك الساحرين ليقياها من الموت ، فأفرغا فى ذلك ما عندهما من قوة السحر

(١) - وهى اللغة الدارجة فى ذلك الوقت بين اليهود وهى خليط بين السريانية والكلدانية

(٢) - انظر كتاب الصادق الأمين فى اخبار القديسين . الجزء الأول صفحة « ٩٠ » .

(٣) - أى رسم علامة الصليب .



الشيطاني فلم يفلح . ولم تقم الابنة . فأتى القديس وطلب جهارا من السيد المسيح أن يقيمها من الموت ، فحالاً نهضت الابنة حية معافاة . . . فلما رأى الملك هذه الاعجوبة آمن بالسيد المسيح هو وكل حاشيته وجانب من الرعية . . وفي يوم من الأيام دخل القديس قصر الملك . وتكلم أمام أهل البيت في موضوع العفة ، وفي أثناء العظة تقدمت اليه اكبر بنات الملك . وكان اسمها « افيجينيا » ونذرت بين يديه البتولية . ومثلها فعل كثير من البنات . . . ثم اجتمعن كلهن في تلك المدينة — التي كانت قبلاً متعبدية للشياطين — وعشن في بتولية دائمة ٥

لذلك لقبه القديس ايوباليتوس بذبيحة البتولية وعاضد العذراء . . .

من الأعمال العظيمة التي تركها لنا القديس متى هو الإنجيله المشهور باسمه...
ومن الواضح ان هذا الانجيل كتب قبل خراب أورشليم (١) . على انه
لا يعلم بالتحقيق تاريخ كتابته . . . فقد ذهب البعض انه كتب في سنة ٣٧ م
وقال آخرون انه كتب في سنة ٦٣ والأقرب إلى الصواب انه كتب بين
٤٢ - ٥٠ م (٢) .

ومن الواضح أن هذا الكاتب كان خبيراً بكتب شعبه المقدسة ومتعمقاً
في معانيها . . .

وقد اظهر « متى » في إنجيله الغرض العظيم الذي من أجله كتب حياة السيد
المسيح بالتفصيل . . . وهو اثبات ان يسوع الناصري - المحترم من اليهود -
هو ملك اسرائيل الموعود به في الكتب المقدسة والانبياء . . .

ولأن هذا الانجيل كتب قبل غيره من الاناجيل الأربعة . . . فكان
لا بد أن يوضح العلاقة الكائنة بين العهدين القديم والحديد . . . وهو أيضاً
أكثرها موافقة للشعب العبراني ، الذي كتب الانجيل لأجله . . .

ولم يهتم « متى » في ترتيب الحوادث التاريخي . قدر اهتمامه بضم الحوادث
بعضها إلى بعض ؛ باعتبار علاقتها بما أراد أن يذكره من صفات المسيح
وعمله فلم يذكر مثلاً انتخاب الرسل ودعوتهم في الزمن الذي تم فيه . . بل
وضعهما على سبيل الحاشية عندما أراد أن يقص الأوامر التي سلمهم الرب
أيها ليكونوا رسلا له . . .

ونستطيع أن نقسم إنجيل متى إلى أربعة أقسام كبرى هي :

(١) - (مت ٢٤ : ١٥) .

(٢) - انظر كتاب الدهد الحديد المطبوع في بيروت سنة ١٨٧٧ م .

الأول : يتضمن سلسلة ميلاد المسيح ، وخبر ولادته ، طفولته — (اصحاح ١ ، ٢) .

الثاني : يتضمن اعلان ملكه وبداءة خدمته ، وظهور الروح القدس ، وتجربته من الشيطان (ص ٣ ، ٤ ، ١ - ١١) .

الثالث : خدمته في الجليل بواسطة التبشير والتعليم وشفاء الامراض :

١ - مقدمة خدمته (ص ٤ : ١٢ - ٢٥) .

٢ - اعلان شريعته (ص ٥ و ٦ و ٧) .

٣ - اعمال قوته وصلاحه (ص ٨ ، ٩ : ١ - ٣٤) .

٤ - الفعلة الذين ارسلهم ، والأوامر التي وصاهم بها (ص ٩ : ٣٥ - ٣٨ و ص ١٠ ، ١١ : ١) .

٥ - انواع العداوه لنفسه وتلاميذه ولعالمهم (ص ١١ : ٢ - ٣٠ و ص ١٢ ، ١٣) .

٦ - شهرته وتعلق الناس به لسبب أعماله (ص ١٤ ، ١٥ ، ١٦ : ١ - ١٢) .

الرابع : ذهابه إلى اورشليم والحوادث العظيمة التي جرت هناك :

١ - إعلانات استعدادية من جهة مجده الشخصي ورسالته وما ينهى إليه ونصائح (ص ١٦ : ١٣ - ٢٨ و ص ١٧ و ١٨) .

٢ - سفره بيرييه - عبر الاردن - إلى اورشليم (ص ١٩ ، ٢٠) .

٣ - دخوله جهراً إلى المدينة وتطهيره الهيكل (ص ١٧ - ٢١ : ١) .

٤ - توبيخه لليهود ولا سيما مرشديهم الروحانيين المرائين الظالمين (ص ٢١ : ١٨ - ٤٦ و ص ٢٢ و ٢٣) .

٥ - نبواته على خراب الهيكل والمدينة وسقوط اليهود وانذار بالسهر ،
ووصف الدينونة الأخيرة التي كانت تشير إليها الحوادث القريبة
(ص ٢٤ ، ٢٥) .

٦ - تسليمه وموته مع الظروف المحيطة (ص ٢٦ ، ٢٧) .

٧ - قيامته من الموت وارساله التلاميذ ووعدده لهم (ص ٢٨) .

مميزات في الانجيل متى :

إلى جانب هذا كله تتميز هذه البشارة عن غيرها بما يأتي :

أولاً - حوادث لم تذكر في الاناجيل الأخرى :

١ - قصة ميلاد المسيح من حيث انتسابه إلى يوسف (١ ، ٢) .

٢ - مشى بطرس على الماء . (١٤ : ٢٨) .

٣ - ضريبة الهيكل (١٧ : ٢٤ - ٢٧) .

٤ - نهاية يهوذا الاسخريوطي (٢٧ : ٣) .

٥ - حلم زوجة بيلاطس (٢٧ : ١٩) .

٦ - الزلزلة والذين قاموا (٢٧ : ٥١) .

٧ - ختم القبر (٢٧ : ٦٢) .

٨ - ظهوره للنساء يوم الأحد (٢٨ : ٢٩) .

ثانياً - امثال توجد في هذه البشارة دون غيرها :

١ - مثل زوان الحقل (١٣ : ٢٤) .

٢ - الكثر الخفي (١٣ : ٤٤) .

٣ - اللؤلؤة والكثيرة الثمن (١٣ : ٤٥) .

٤ - العبد الظالم (١٨ : ٢٣) .

٥ - الشبكة الجامعة (١٣ : ٤٧) .

- ٦ - فعلة السكرم (٢٠ : ١ - ٦) .
 ٧ - الأب وأبنيه (٢١ : ٢٨) .
 ٨ - عرس ابن الملك (٢٢ : ١ - ١٤) .
 ٩ - العشر عسدرى (٢٥ : ١٦) .
 ١٠ - الوزنات (٢٥ : ١٤) .
 ١١ - الخراف والجسداء (٢٥ : ٣١ - ٤٦) .

إستشهاده :

بعد موت الملك اختطف اخوه المملاكة ليثبت على العرش الملوكى ،
 واراد أن يتزوج « بأفيجينا » ولية العهد ، أماهى فبعد اتخاذها ابن الله عريسا
 لها فى بتوليتهما رفضت كل زواج مع أعظم ملوك الأرض ، فأرسل الملك
 الحديد المدعو « يرتكوس » واستدعى القديس « متى » وطلب منه أن يقنع
 تلميذته بالزواج . فأخذ الرسول يثبت البتول فى طريقها وعزمها ونذرهما ،
 وخرج ليقدم ذبيحة القداس ولما علم الملك اغتاظ جدا وارسل جنوده
 لقتل القديس بعد ضربه بشدة وبقسوة . . .

وقد أخذ المؤمنون جسده باحترام وبنيت على اسمه كنائس كثيرة هناك .
 وقد اخبرنا القديس اكايمنضدس الاسكندرى أن القديس متى ادخل إلى
 الكنيسة عادة استعمال الماء المصلى ، وانه كان ناسكا لا يأكل اللحم بل كان
 نباتيا يعيش على البقول . . .

وتعيد له الكنيسة القبطية بذكار استشهاده فى اليوم الثانى عشر من شهر
 بابه . . . بركته المقدسة تكون معنا ، ولربنا الحمد الدائم إلى الابد آمين .

+++

ماخص ناريخ حياة القدّيس يوحنا ذهبي الفم

نشأته :

كان في مدينة إنطاكية في أواسط القرن الرابع . . رجل من ذوى الغنى واليسار يدعى « سكو ندس » (١) وكان قائداً في المعسكر الرومانى في سوريا ، وكانت زوجته تدعى « انثوسا » . وكان هذا الرجل وثنياً أما زوجته فكانت مسيحية ورعه ، وبفضل تأثير إمرأته وقُدوتها الحسنة . . إعترف هذا الرجل بالمسيح ، وأصبح مسيحياً حقيقياً . وفى سنة ٣٤٤ م ولد لهما ولد أسمياه يوحنا ، غير أن أباه توفى وهو لا يزال طفلاً . . فتولت أمه تربيته . . ومع أن الأم كانت في سن العشرين عند ترمائها . . إلا أنها أبّت الزواج مرة أخرى مكرسة حياتها لتربية إبها .

تعليمه :

وقد اهتمت بتربيته وتعليمه . . فعلمته الاسفار الإلهية ، ولم يمض وقت طويل حتى أثرت عليه التعاليم المقدسة وسقط البذار الصالح في قلبه . ولم تكتف بذلك ، بل إجتهدت في تثقيف عقله بالعلوم والمعارف ، فدرس علمى المنطق والبلاغة على يد العالم الوثنى « ليبيانوس » اعظم فلاسفة ذلك العصر (٢) فبرع براعة غريبة دهش منها أساتذته ، وظن الكثيرون أنه سينظم في سلك عامماء الشرائع ، لأنها كانت الواسطة الوحيدة لتقدم في الوظائف السامية والمراتب العالية في تلك الأيام ، ولكن أفكاره كانت مهمة بما هو فوقه ، لا بما على الأرض . .

- (١) - انظر كتاب يوحنا فم الذهب تأليف منسى يوحنا وعبد القادى القاهرانى الصادر عن مركز المطبوعات المسيحية ببירות - الطبعة الخامسة ١٩٦٥ .
- (٢) - قيل أنهم تقدموا إلى ايبانيوس سائلين إياه قبل وفاته من هو أهل أن يخلفه ؟ فقال « يوحنا لو لم يسرقه المسيحيون » .



نظر يوحنا إلى العالم
بما فيه من شر وفساد ،
فانكب على مطالعة الكتب
المقدسة ، ومارس
الأصوام والصلوات ،
واعتاد لبس المسابيس
البسيطة المحتشمة ، مظهراً
تمام الرزانة والتعقل
والسكون حتى عرف
الجميع من سلوكه ،
بأنه أعطى نفسه لله . .
وكرسها لخدمته تعالى . .
ولما سمع به « ملاقيوس »
أسقف إنطاكية قر به إليه
وهذه . . فكث تحت
إرشاده ثلاث سنوات .

القديس يوحنا زبدي الفم

وكان له صديق حميم يدعى « باسيليوس » ، كانت استعبداته
وسيرته مشابهي لروح يوحنا ، فاتفقا معاً على أن يعيشا عيشة التوحد
وإتقنا على الخروج من إنطاكية سراً إلى البراري ، وخصوصاً عندما علم
أن مجمع الاساقفة قرر أن يرقبه هو وصديقه باسيليوس إلى رتبة الأسقفية . .
فشعر في ذاته أنه غير مستحق لهذه الوظيفة لسموها .

ولما جاء صديقه باسيليوس يطلب منه أن يرى لهما طريقة يتخلصان بها
من قبول الأسقفية . . لم يصرح له يوحنا عن عزمه — لثقت به بكفاءة صديقه —

وشجعه على أن لا يهرب . . فرجع باسيليوس غير مرتاب منه ، وبعد ذلك إختفى يوحنا في مكان لم يعرفه أحد ، وتمت رسامة باسيليوس أسقفا بمفرده ، الذي لما شعر باختفاء صديقه حزن ، ثم بحث عنه كثيرا ، ولما وجده ابتدأ يشكو له مرارة الحيلة التي أوقعه فيها ، فذكر له يوحنا الأسباب التي ألحأتها إلى ذلك . وأنه لهذا الأمر لم يحن واجبات المسيحية ، ولهذا السبب تحرك إلى تأليف كتاب في « الكهنوت » استجاب بالرضى صديقه ، تبريراً لنفسه باظهار الدواعي لمربه . وإنتهز الفرصة لبيان واجبات تلك الوظيفة العظيمة .

ولما توفيت والدته رحل من مدينة إنطاكية قاصدا ديراً بالجلال الحوارة لتلك المدينة وأقام فيه مدة أربع سنين ، مداوما على التقشف ، وعيشة الحشونة التي لم يعتد عليها قبلا . . وكان يزوره في الدير الكثيرون للإسترشاد بتعاليمه . . ولما كثرت الزوار . أراد أن ينفرد في مغارة بجانب الجبل ، كان ينام فيها وحيداً ، بلا فراش ولا سراج ، وعاش في غاية الضنك . . وفي مدة إقامته بالمغارة درس الكتاب المقدس حتى قيل أنه حفظه غيباً . . ولكن لكثرة تقشفه ولرطوبة المغارة اصابه مرض اضطره إلى الرجوع إلى إنطاكية .

رسامته شماساً :

وحالما وصل إلى إنطاكية تلقاه الأسقف ملاتيوس بصدر رحب ، ثم رسمه شماساً في سنة ٣٨١ م . فقام بوظيفته خير قيام نحو خمس سنوات ، كتب في اثنائها عدة مقالات ، حتى صار له صيت عظيم في المدينة .

ولما توفي الأسقف ملاتيوس ، وخلفه فلافيانوس ، رسم يوحنا قسيساً سنة ٣٨٦ م ، ووكل إليه الخدمة والوعظ في الكنيسة . . ومن ذلك الحين شرع يعظ بفصاحة نادرة . . حتى توافد عليه الناس لسماع عظاته المؤثرة ، حتى

لقبوه « فم الذهب » و « فم السيد المسيح » نسبة إلى فصاحته الخالصة للعقول ،
السالبة للألثاب ، وما له من حجج قوية وبراهين سديدة وافكار بايعة
في المعتقد المسيحي ، ولأن الأقوال كانت تتدفق من فمه كالذهب النقي
والجواهر الكريمة .

إنتخابه بطريركا :

وفي سنة ٤٩٧ م توفي نكتاريوس بطريرك القسطنطينية فاشتهر
بوتروبيوس - الوزير الأول لملكة - على الملك أركاديوس ، أن يرسم
يوحنا فم الذهب لسماعه خبره في كل مكان ، لعظاته الشهيرة ، وفصاحته
وبلاغته وقداسته . فكتب الملك إلى الأسقف فلافيانوس لكي يرسل إليه
يوحنا . . ولكن جهود الأسقف ذهبت عبثا ، لأن يوحنا رفض هذا
الأمر ، لأنه كان على معرفة بصعوبة الواجبات الملقاة على عاتق كل من
يتكرس لهذه الخدمة ، وعلمه بصعوبة قضاء الله على من يهملون القيام
بواجباتها . .

ولما علم بوتروبيوس أن يوحنا أتى الحضور إلى القسطنطينية ، وعلم أن أهل
إنطاكية يمانعون جداً في أخذه ، لأنهم كانوا يعتبرونه فخر مدينتهم ومجدها . .
عمد إلى الحيلة فأرسل واستدعاه ليقابله في كنيسة خارج المدينة . . فلما ذهب
يوحنا لمقابلته ، أركبه الرسول في عربة ، وأسرع بها رغماً عن مقاومته .

وفي القسطنطينية خرج الرؤساء والاشراف والرعاة لاستقبال يوحنا
وهم مملعون من الفرح ورسومه رئيس أساقفة سنة ٣٩٨ م .

زيارة الإمبراطور :

وعقب رسامته زاره الإمبراطور أركاديوس طالبا منه البركة فباركه
وقال له « إنني لما أرى النير الثقيل الذي وضع على ، وأتأمل أني لا أستحق

هذه الدرجة السامية . نظراً لضعفى وحقارتى . وإن مثل هذه الرتب العالية تقتضى استحقاقات عالية . كما أن الأحمال الثقيلة تستلزم أكتافاً قوية . عندئذ تضطرب نفسى وترتعد جداً . ولكن حيث أن ملك العالمين ، ورب الأرباب ، الذى لا تدرك احكامه ، شاء أن يقيمنى راعياً لهذه الرعية العظيمة ، فن ثم أطلب من جلالتك أيها الملك العظيم أن تسمع لصوتى . . . صوت من أقامه الله راعياً لك ولشعبك . . على أنه كما أن الضرورة تلزمنى بأن أورد لكم إرادة الله ، ينبغى لكم أن تصفوا لكلامه باحترام وطاعة ، ولكون سيدنا يسوع المسيح أجلسنى على هذا الكرسي أبداً كرازتى وتعايمى بقولى ما قاله يوحنا المعمدان « توبوا » لأنى فى عظامى لا أوارى أحداً . . بل أتكلم بكل حرية ، وسأورد لكم كل ما تلزمنى رتبى بإيراده فان قبلتم نصائحى فبلا شك تسروننى . وتهجون الروح القدس أيضاً . . وتجنون ثمرة الخلاص ، وإن لم تقبلوا فسيصيبكم أنتم ضرر جسيم ، وسيكون حظى الحزن والبكاء على ضرركم » فابتهج اركادىوس من حريته فى الكلام وسر الحاضرون ، وشكروا الله الذى أرسل لهم هذا الراعى الصالح .

نشاطه الواسع :

وبدأ البطريك بالقدوة الصالحة أمام شعبه ، فلم يكن يهتم إلا تقدمه فى الفضيلة . . ولم يهتم بشيء يخص نفسه ، بل اكتفى بالمأكل البسيط والملابس المحتشمة ، ثم أخذ يلقى الخطب الرنانة ، والمواعظ المؤثرة ، وحيما كان يقف للوعظ كنت ترى الناس يأتون إليه أفواجاً أفواجاً من منازلهم ومحلات أشغالهم ، حتى من محافل مسراتهم اليومية . فكان يأخذ بمجامع البابهم بفصاحته ، ويستولى على أفئدتهم بقوة بيانه المعهودة . . حتى قيل أن بعض الناس كانوا يرون ألسنة نارية تخرج من فمه أثناء العظة . .

وكانت عظاته تدور على الرذائل التي كانت متماكة على شعبه ، ليزرعها
ويغرس عوضاً عنها الفضيلة . . وكانت أكثر أقواله ضد رذيلة البخل ،
والحث على الرحمة وإفتقاد المساكين . .

وكان يوزع ماله على الفقراء والمعوزين ، مفتقدا إياهم في بيوتهم ويكثر
من الزيارات للمرضى والمسجونين لتخفيف آلامهم . . وأقام مستشفيات
ومنازل للغرباء الذين انهكتهم الأمراض .

كانت محبة فم الذهب لأولاده عظيمة جداً . حتى أنه قال لهم يوماً وهو
يعظ « إني لا أشتي أن تعينوا فرط محبتي لكم . فاعلموا أن قلبي لا يهوى
شيئاً كما يهواكم ، فاني أحبكم أكثر من عيني . . ولو كان لي أن اعطيكم
بذهاب بصرى نوراً لآثرت العمى لأجلكم ، فلا يسمح الله تعالى أن يرتكب
أحدكم خطية . على أنه إذا زل ، أظهرت له وفور محبتي بغزارة دموعي ،
وقد أهملت الإهتمام بخلاص نفسي على نوع ما ، وذلك من قبل هذه المحبة . .
لأن كثرة الدموع التي اذرفها من أجلكم لا تدعني أبكي على نفسي . .
وحينما أراكم سائرين في الفضيلة ونامين فيها . . يشغلني فرحى بذلك عن
التأمل في آثامي . . وأن فرحى يتحول إلى حزن حينما أراكم على خطية . .
فوا حسرتي . .

إنني أسأل الله بشوق ان يخلصكم قبل أن أطاب خلاص نفسي ، لأنني
احتسب خيرى كله قائماً في خيركم . . فياليتني أستطيع أن أفتح لكم صدرى ،
فتعابنوا ما هو داخله . . فحقاً كنتم ترون صوركم وصور بنيكم مرسومة
على لوح القلب . وقد تسعكم جميعكم هذه المحبة التي هي أوسع من
السنوات . .

لم يكن يوحنا ذهبى النعم يرى غيباً إلا ويأمر بتركه . ولم يكن يقع بصره على مخالف إلا ويرشده إلى طريق الصواب . شأن الراعى الصالح والخدام الأمين .

ومع كثرة شهادته وحرية وتوبيخه للأغنياء والعظماء كثير حساده ومبغضوه . . . ومع أنه كان يشعر بما يزعجه من الأخطار التي أصبح عرضة لها بسبب أمانته . . . إلا أنه لم يكف لحظة عن القيام بواجبه ، إتباعاً لقول الرسول « فلو كنت بعد أَرْضَى الناس لم أكن عبداً للمسيح » (١) . ومن الأسباب الكثيرة التي جرت الوبال على فم الذهب ، مقاومته للهراطقه وخصوصاً الأريوسيين . . لا سيما عندما قام زعماء الشيعة الأريوسية ، وأخذوا يحتفلون باشمار معتقدهم الوخيم وينظمون فيه التراتيل المستهجنة ، المشحونة بقواعد هرطقهم الفاسدة ، التي كانت كلها تشير إلى عدم مساواة الآب بالإبن . ولأن أما كن عبادتهم كانت خارج المدينة ، كانوا يذهبون إليها ويحتفلون بصلاتهم فيها ليلاً ونهاراً ، ويخرجون منها عند طلوع الفجر . . جماعات جماعات . . رجالاً ونساء . . جائلين في الشوارع ، مرتلين تراتيلهم الغربية عن الإيمان السليم . .

أما البطريرك فلم يسمح بذلك ، بل أسرع في تنظيم تراتيل روحية ضد تراتيلهم الأريوسية ، مبيناً فيها سر الثالوث الأقدس ، ومساواة الآب بالإبن في الجوهر وفي الأزلية . . . وبهذه التراتيل سار الألوف يطوفون الشوارع مرمين مهللين مخفوفين بالحب والبهاء . . وكان من قواد الحيش أحد الأريوسيين الذي أوقع وقعة لدى الإمبراطور ضد البطريرك .

أما داخل الكنيسة فقد حقد عليه كثير من الكليريكيين والرهبان لأنه الزمهم بالعمل الكثير والنشاط المثمر في إفتقاد الشعب . . وقد بلغ البطريرك أن كثير من الرهبان كانوا قد جمعوا أموالاً طائلة ، محبين للظهور ، ميالين إلى اللهو والعجب ، فقام يحياهم وردعهم عن سوء فعلهم ، وإختار نفرأ منهم وأرسلهم بصفة بعثات تبشيرية للأمم الوثنية ، وقال لهم « لا يسوغ للمسيحيين أن يقفوا في الأسواق بطالين . . لأن كل من لا يستعمل وزنته حق الإستعمال ، يدعوه المعلم عبداً بطالاً ويطرح في الظلمة الخارجية » .

وكانت عظاته القوية ضد التبرج والزينة الخارجية قد أثارت عليه كثير من النساء اللاتي يعملن في البلاط الإمبراطوري ، فقد وجد منهن ثلاث نساء كن يفرطن بالتبرج . . وكن يلبسن ملابس غير محتشمة . . فلم يسكت خادم الله وهو يرى هذه المصائب ، بل ونجهن بصرامة ، ووجه اليهن هذا القول « لماذا تجهدن النفس في المحاولات الباطلة للإحتفاظ بنضارة الشباب وأنتن تعلمن أن هذا ضرب من المال . . لأن الجسد مصيره التراب . . إنني احذركن ليس على سبيل النصيح فقط ، بل على سبيل الأمر أيضاً ، فان لم ترجعن عن طريقكن أخرجكن من شركة الكنيسة لا محالة ، وإذا قلتن سنلتجىء إلى الهراطقة فلن اكترث لذلك » .

وكان هؤلاء النساء نفوذ في البلاط الإمبراطوري ومنهن امرأة اكثر زهواً وطيشاً تدعى « يوغرافيا » ، وهى إحدى رفيقات الإمبراطور ، فهذه ندد بها فم الذهب كثيراً وأشار إليها في وعظه حتى بغضته بغضا شديداً ، وعملت على النكاية به . .

كل تلك الأسباب وغسبها قوت الحزب المعمرارض لفم الذهب ، فازداد عدد أعدائه إزدیاداً عظيماً ، غير أن المي جر عاييه اوبل العظيم ، هو سخط الإمبراطورة « افدوكسيا » عليه ، فقد غرس بفؤاها

أصل البغضاء له ، حتى كانت تنظر إليه بعين الحقد . . وكل ذلك لكونه لا يجاريها على فخرها بملكها ، وكان يأنف ويستنكف ، بل ينفر من صميم فؤاده من التدخل في محافل الأمراء ، وملاذ العظماء . وكان يعتمد عنها كل الابتعاد ، وكان همه الوحيد أن يكون شاهداً أميناً للحق . . وعندما كان يقف ليعظ ، كان أعداؤه يراقبونه ، لعلمهم بصطادونه بكامة من قبه . . كما حدث مرة أثناء وعظه ، حيث نطق بكامة « أدوكسيان » التي معناها « عار » أو فضيحة » وكررها للتأكيد . . فعند ذلك نقل الواشون للامبراطورة « أفدوكسيا » وادخلوا في عقلها ، واكدوا لها أن ذهبي الفم ما قال هذه الكلمة « عار » إلا وهو يقصدها شخصياً . . وعلى الخصوص إن حملته في هذه المرة ، كانت منصبة على سوء تصرفات النساء ، بالتبذير والإسراف في أزياء ملابسهن ، وتفاخرهن باشكالهن . . ولمح على انتشار تلك المصائب بين دوائر الحكم ، فكان هذا سبباً في تمكن الوشاية في عقل الملكة . . فغضبت لذلك غضباً شديداً ، وصارت تكره يوحنا كرها بليغاً . .

وفي يوم من الأيام إستغاثت أرملة إلى يوحنا البطريك من الامبراطورة « أفدوكسيا » ، لأنها اختلست بالظلم ثمن حقن من هذه الأرملة بحجة باطلة ، فكتب اليها البطريك عدة مرات فلم ترد عليه ، ثم أرسل اليها رسولا من قبله ، فازدادت قساوة . . فلما جاء عيد الصليب وعرف أن الإمبراطورة آتية إلى الكنيسة ، وقف لها على الباب ومنعها من الدخول . .

نفي البطريك :

من أجل هذه الأسباب وغيرها نفي البطريك مرتين ، ولكنه في النفي بشر أهل البلاد الوثنيين فأمن منهم الكثيرون ورسم هناك سبعة اساقفة (١) وبعض القسوس . .

(١) - انظر كتاب مروج الاخييار في تراجم الابرار تأليف بطرس اليسوعي ١٨٨٠ م.

أما اعداء القديس فلم يكتفوا بما انزلوا به من الويل ، فنقلوه من كوكوزا إلى بيسيوندا(١) .. وقد ضايق الجنود القديس في هذا السفر أكثر مما ضايقه في الأول . ومن فرط ما تعب إعترته حمى شديدة ووجع أليم في صدره . . ومع ذلك لم يدعه الجنود يستريح . . إلا أنهم لما رأوه قد ضعفت قدرته نزلوا في كنيسة كان قد دفن فيها القديس باسيليسكوس الأسقف الشهيد .

نباخته :

في أثناء وجوده في هذه الكنيسة ظهر له القديس باسيليسكوس وقال له « تشدد متقويا يا أخى يوحنا ، وإفرح لاننا غدا نكون في مكان واحد » .

فطلب القديس يوحنا من الجنود في غد ذلك اليوم . أن يلبثوا معه هناك إلى الظهيرة . فلم يرتضوا والزموه بالسفر ، ولكنهم بعد ما ساروا مسافة نحو ساعة ونصف ورأوا البطريرك قد أشرف على الموت رجعوا إلى الكنيسة المذكورة ، فلما دخلها لبس ثوباً أبيض وتناول القربان المقدس ثم صلى صلاته الأخيرة وختمها بقوله « ليكن الله مباركاً في كل شيء آمين » قال ذلك وسلم روحه الطاهرة بيد الله وكان ذلك في اليوم الرابع عشر من شهر ايلول سنة ٥٠٧ م ، ويذكر في القداس الإلهي للكنيسة الارثوذكسية في صلاة تحليل الخدام ومجمع القديسين . بركة صلاته تكون معنا . . آمين . .

+ + +

(١) مدينة بأقصى تخوم المملكة وراء البحر الأسود .

تأملات روحية
في

إنجيل القديس متى

للطبيب يوسف زليحي العنبر



الجزء الأول

قام بالترجمة وتصرف . . . مشكوراً :

لأستاذ
عادل شفيق

+ أمين التربية الكنسية بكنيسة العذراء بملوى

من مجموعة كتابات الآباء الأولين :

The Writing of : The Nicene and Post Nicene Fathers,
First series, St. J. Chrysostom.

الفصل الأول

تقديم (١)

الأنجيل الحية (٢) :

يجب أن نكون أناجيل حية متحركة . . . فالله أعلن نفسه للأولين ، لأنهم كانوا أطهاراً مثل نوح وإبراهيم ويعقوب ونسائهم . . . وأيوب موسى . . . ولكن حينما كثرت الشر ، كلف (الله) عن إعلان نفسه . وأرسل لهم كلمته مكتوبة في ألواح وشرائع ونواميس .

وهذا الأمر لم يحدث في العهد القديم فقط ، بل في العهد الجديد أيضاً ، فالرب يسوع لم يترك لتلاميذه أى كلمات مكتوبة ، بل وعدهم بأنه سيرسل لهم نعمة الروح القدس « الذى يذكركم بكل ما قلته لكم (٣) » .

ولقد كان هذا أفضل جداً . . . إسمع ما يقوله أرميا النبي عن عهد النعمة : « سأعمل معكم عهداً جديداً ، وأضع نواميس في ذمبتكم ، وسأكتبها في قلوبكم ، وسيكون الجميع متعلمين من الله (٤) » .

(١) - التأمل الأول . (٢) - العناوين الجانبية من وضع اللجنة .

(٣) - (يو ١٤ : ٢٦) .

(٤) - (أر ٣١ : ٣١ - ٣٣) ، (عب ٨ : ٨ - ١١) ، (يو ٦ : ٤٥) .

وبولس يبين أفضلية ذلك قائلاً : إننا إستلمنا الناموس « ليس في الواح
حجرية ، بل في ألواح قلب لحمية (١) » .

الحاجة إلى المكتوب :

ولكنهم إحتاجوا للمكتوب لتقدم الأيام ، ولإنتشار التعاليم وأساليب
الحياة رأيت إذن كم هو شر عظم ، ذلك الذي نعيش فيه ؟ . لأننا لم
نحيا أطهاراً لدرجة تجعلنا نستغنى عن المكتوب ، ولأننا لم نسلم قلوبنا ككتب
للروح القدس (ليكتب فيها كما يشاء) (٢)
لقد فقدنا هذا الشرف وإحتجنا للعلاج بالمكتوب وأصبح عقابنا متزايد ..

بين القديم والحديد :

ولكن يجب ألاهمل المكتوب . بل يجب أن نعلم أن نقارن بين العهد القديم
والعهد الجديد

قارن بين ناموس العهد القديم ، الذي أعطى على جبل سيناء في برية ...
في بروق ورعود ونار وضباب وموسى داخل في الضباب . . وبين
ناموس العهد الجديد الذي أعطى في هدوء تام ، وكان كل الناس جالسين
في بدء النهار في بيت ، وكانت هناك عاصفة ليس من أجل التلاميذ ، بل
من أجل اليهود

وفي العهد القديم نزل الرب إلى البشر ، بينما في العهد الجديد إرتفع
البشر إلى الله

بين العهد القديم الذي كان مكتوباً في لوحين حجريين عملهما موسى ،
والعهد الجديد الذي كان مكتوباً في قلوب التلاميذ ، وكانوا مملوئين من
كل كنوز الحكمة وينابيع التعاليم والهبات من كل نوع ومن كل ما هو

(١) - (٢ كو ٣ : ٣) .

(٢) - أضيفت هذه الجملة التي بين القوسين لشكلة المعنى .

حسن ، حتى أنهم جالوا في كل مكان ، وصاروا من خلال النعمة كتباً وشرائع حية ، فكسبوا الثلاثة آلاف ثم الخمسة آلاف ، ثم أُم العالم بعد ذلك .

إنجيل متى

متى العشار حينما إمتأ من هذا الروح كتب إنجيله ، وسماه الأخبار السارة ، لأنه كان يبشر بإزالة العقوبة ومحو الخطية ، وتضمن أخباراً سارة عن البر والتطهير والقداء والتبني وميراث السماء ، وقرابتنا بابن الله الذي جاء معلناً للجميع . . . للأعداء والخصوم ، ولكل الخالسين في الظلمة . وأي شيء يعادل هذه الأخبار السارة ؟ .

الله على الأرض ، والإنسان في السماء . وقد إتحد الجميع . . . إتحد الناس بالملائكة وبالقوات السماوية ، وتصالح الله مع الناس ، وخزى الشيطان . . . ودمر الموت . . . وفتح الفردوس . . . ونزعت اللعنة والخطية . . . وعاد الحق . . . وصار لنا قوة الحق والممالك ، والشرف والأجناد . . . لم يصر لنا ذلك بالتعب ، بل بالنعمة أخذنا كل هذا . . .

الأنجيل الأربعة :

ألم يكن إنجيلاً واحداً يكفي ؟ . . . بالتأكيد كان يكفي ، ولكن إن يكتب أربعة في أماكن مختلفة وأزمان مختلفة دون أن يتقابلوا مع بعضهم ، ثم يكتبون نفس الشيء وكأنهم واحد ، فهذا أعظم دليل على صدقهم . . . بل ان كان هناك إنجيل واحد ، لكان يمكن الشك فيه ، أما الأربعة فهم شهادة واضحة على الصدق . . .

أما الاختلافات الظاهرية فهذه دليل على أهمهم قالوا الحق ، وسنحاول
بنعمة المسيح أن نشرح هذه الاختلافات الظاهرية . . .

أما الأمور الرئيسية فهم متفقون فيها : أن الله صار إنساناً . . . أنه فعل
معجزات . . . أنه صلب . . . أنه قبر . . . أنه قام ثانية . . . أنه صعد . . . وأنه
سيدين العالم . أنه أعطانا وصايا لخلاصنا . أنه الابن الوحيد . أنه ابن
حقيقي . أنه واحد مع الآب . وفي أمور كثيرة سنجدهم كلهم متفقين .
الغرض من الكتابة :

ولكنهم في المعجزات غير متفقين . البعض ذكر بعضها . والبعض ذكر
تفاصيل لم يذكرها الآخر . . . ولكن لا تقلق بسبب ذلك ، لأن كل هذه
الأمور كانت شائعة جداً . ولذلك فكل إنجيلي كتب عن الأمور الجديدة
غير المعروفة . . .

فان « لوقا » يذكر لنا سبب كتابة إنجيله قائلاً « إن كان كثيرون قد أخذوا
في كتابة قصص عن الأمور المتيقنة عندنا . . . رأيت أن أكتب . . . لتعرف
صحة التعاليم التي علمت بها (١) » . . . فقهو كان يتكلم عن أمور شائعة .

أما « يوحنا » فقد كتب إنجيله ليثبت لاهوت المسيح ضد بدعة النيقولاويين
والكورنثيين .

أما « متى » فقد جاء إليه اليهود الذين آمنوا ، وطلبوا منه أن يكتب لهم
الكلمات التي بشرهم بها .

أما « مرقس » فقد كتب إنجيله في مصر . لتلاميذه هناك . . .

ولأن « متى » كتب لليهود ، فقد أراد أن يظهر أن المسيح هو ابن إبراهيم
ابن داود . . . أما « لوقا » فلأنه كتب لكل العالم ، فقد أظهر أنه ابن آدم . .
وهكذا يظهر أن كلا منهم إنتقى الحوادث التي تخدم غرضه الذي كتب
لأجله . . .

ثم إن كلا مهم كتب لإجيله للجميع ، وشهد بصمته للجميع ، وأعلن للجميع . . فلو كان بينهم إختلافاً حقيقياً لما سكت عليه السامعون . . وكيف يتفق العشار وصياد السمك وآلاف الناس ، وجميع الأمم في حياتهم وبعد مماتهم على كذبة ينشرونها ؟ .

وكيف تؤيد كذبة بالمعجزات والعجائب ، وكيف يتحملون من أجلها الموت والأخطار والإضطهاد ؟ .

وكيف يقبلها الجميع بفرح . . العبيد والملوك والجنود واليونانيون : وكيف يتحمل الناس من أجلها التبتل والصوم والفقر الإختياري ، والنسك والسهر والصلوات والجهد ؟ .

وإن كان الشياطين هم الذين نشروا هذه الأخبار ، فكيف يملأون الأرض طهارة ومثلاً علياً ونقاوة ، لا يستطيع البشر أن ينفذوها بسهولة ؟ .

وكيف ينشر الشياطين مبادئ ضد طبيعة الإنسان الشريرة ؟ . وكيف ينادون بحب الله وبحب الغريب ؟ ثم كيف يعيشون عشة مشتركة ، ويبيعون كل أموالهم ويضعونها تحت أقدام الرسل ؟ . . . ولم يكن أحداً » يقول أن شيئاً من أمواله له ، بل كل حسب إحتياجه . . .

إن هذه المبادئ ليست حرباً مع الإنسان ، بل مع الشيطان . . . وقوتها غير المحدودة ، ليست قوة ملائكة ولا رؤساء ملائكة ، بل هي قوة الله نفسه .

ثم أن الذى يؤلف قصة كان يجعلها موافقة مع العقل لا ضده ، فكيف يقول « متى » أن المسيح ولد من عذراء ؟ . ولكن هذا دليل على الصدق ،

وأكثر من ذلك يذكر نساء (١) من سلسلة أنساب المسيح مثل ساره ورفقه
وثامار الزانية وراحاب الاممية وراعوث ، ويذكر امرأة أوريا . . . أليس
هذا كله دليل على الصدق ؟ . كما أنه حذف أسماء ثلاثة ملوك ، لأنهم
كانوا أشراً جداً ، لذلك مر عليهم في صمت . . .

الإستعداد الروحي :

لنفتح الآن أذهاننا وعقولنا وآذاننا بخوف ، ونحن على عتبة مدينة الله
السماوية ، ولنخلع أحذيتنا من أرجلنا ونسجد للإله الحي . .

دعنا ندخل هذا الفردوس السماوي بهدوء ، بل بصمت وخوف حتى
يمكننا أن نقرأ رسالة الملك ، ويمكن أن نسمعها . . لأنها رسالة رب الملائكة ،
ورب السماء كلها . . .

لو أجبرنا أنفسنا على هذا ، فإن النعمة نفسها ستقودنا إلى داخل . . . إلى
أماكن متسعة ، وإلى العرش الملكي . . وتعطينا كل الأشياء الحسنة ، بنعمة
ومحبة الله للإنسان . الذي له المجد والعظمة مع الآب والروح القدس ،
الآن وكل أوان ، وإلى أبد الأبد ، آمين .

+ + + +

(١) اليهود كانوا يعتبرون المرأة أقل من الرجل .

الفصل الثاني

رموز ومفاتيح

تمهيد :

يجب أن نقرب إلى بستان كلمة الله بخوف ورهبة ، كما إقرب
بنى إسرائيل قديماً بين جبل سيناء ، لأننا نقرب من السماء نفسها ،
فيجب أن فنكر ذواتنا ونغسل نفوسنا طارحين عن كواهلنا كل
الأمور العالمية ، لأننا نقرب الآن من : « كتاب ميلاد ربنا يسوع
المسيح ، ابن داود ، بن إبراهيم » .

+ + +

ابن داود :

لماذا يقول يسوع المسيح بن داود بن إبراهيم ؟ وهو ابن الله الوحيد ؟
لماذا يذكر اسم داود ، وهو رجل ولد منذ آلاف الأجيال ؟ ويقال أنه
أبوه وسلفه ؟ .

إنظر . . لا تظن أنك يمكنك أن تعلم كل شيء مرة واحدة ، بل
ببطء . . قليلاً . . قليلاً .

لماذا تسرع هكذا ، كأنك تعلم كل شيء ولم يبق إلا هذا الأمر ؟ . .
لا تسرع لأن هذه أمور فوق الطبيعة ، ولا يمكن التكلم بها . .

إسمع هذا الأمر وتعجب ، أن ابن الإله غير المحدود قبل أن يسمى
ابن داود ، حتى يجعلك أنت ابناً لله . . لقد قبل أن يكون العبد أبوه ،
لكي يجعل الله أبوك أنت أيها العبد . .

حينما تقول ان ابن الله قد صار ابناً لداود وإبراهيم ، فلا تشك أبداً
أنك أنت - ابن آدم - ستصير ابناً لله ، لأنه لم يتواضع هكذا باطلاً إلا
ليرفعنا هكذا جداً . . .

لقد ولد حسب الجسد ، لكي نولد نحن حسب الروح . . .
لقد ولد من امرأة ، لكي لا نسمى فيما بعد أولاد المرأة . . . « الذين
ولدوا ليس من مشيئة رجل ولا دم ولا جسد ، بل من الروح القدس (١) » .

يشوع ويسوع :

لقد دعى يسوع أى مخلص ، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم . . . إن يشوع
فى العهد القديم هو الذى قاد شعب إسرائيل لأرض الموعد ، ويسوع العهد
الجديد قاد شعبه إلى السماء .

اسئلة وأجوبة :

+ ولماذا سمى « كتاب ميلاد يسوع المسيح ؟ » ، رغم أنه لا يحوى
أخبار الميلاد فقط ، بل كل التدبير . . . ويحوى كل البركات التى حصلنا
عليها . . .

+ ولماذا لم يقل : ابن إبراهيم ثم ابن داود ؟ .. وذلك لأن داود كان الأقرب
والأكثر تداولاً على ألسنة الناس ، ولأن الأنبياء تنبأوا على أن داود سيقوم
ثانية (٢) ويملك على بيته ولا يكون للملكه نهاية . . .

+ ولماذا ذكر نسبه ليوسف الذى ليس هو أب المسيح ، ولم يذكر
نسبه لمريم التى هى أم المسيح ؟ .

(١) - التأمل الثانى والثالث (مت ١ : ١) .

(٢) - (يو ١ : ١٢) .

أنظر ماذا يقول الملاك جبرائيل في البشارة « عذراء مخطوبة لرجل اسمه يوسف من بيت داود وعشيرته (١) » ، أى أن العذراء من بيت داود وعشيرته ، كما أن الشريعة كانت تقضى على الرجل أن يتزوج من سبطه ومن عشيرته فقط ، وقد قال يعقوب « لا يزول قضيب من يهوذا ولا مشرع من بين رجليه حتى يأتى مشتهى الأمم (٢) » .

لذا ، فالعذراء لم يورد نسبها لأنه كان ثابتاً أنها من بيت داود ، مع العلم أن عذراوية مريم كانت سرّاً مخفياً عن الشيطان مثل أمر صلبه وقيامته .

+ ثم لماذا قال « إبراهيم ولد اسحق ، واسحق ولد يعقوب » ، ثم قال « يعقوب ولد يهوذا وأخوته » . . . ذلك لأن من هنا يبدأ وجود شعب الله ، لذلك كان لابد أن يشير لأخوة يهوذا .

+ ولماذا قال أن « يهوذا ولد فارص وزارح من التى لثامارا ؟ » . . . لماذا يذكرنا بهذه الخطية المشينة ؟ .

هذا ليرينا أنه لم يخز منا بسبب خطايانا ، بل قبل أن يحملها عنا ، ولكي يعلمنا ألا نخزى من خطايانا . . ولكي يعلمنا ألا نخزى من آبائنا إن كانوا خطاة ، ما دمنا نحن نسير فى طريق الفضيلة . . . ولكي يخفض كبرياء اليهود وعجرفتهم بتذكيرهم بخطايا آبائهم الذين يفتخرون بهم ، ويعرفهم أن يتكلموا على أعمالهم هم ، وليس على فضيلة آبائهم ، فليست هناك لهم فضيلة . . ولكي يعلمنا أننا جميعاً تحت حكم الخطية . . . أبوهم يهوذا وأبوهم داود كلهم فعلوا خطايا كبيرة وليست صغيرة .

+ وقد ذكر فارص قبل زارح ، لأن فارص هو الذى إقترح ، وهو يرمز للأمم الذى سبقوا اليهود فى الولادة الجديدة ، كما أنه إقترح لأنه قبل

(١) - (لو ١ : ٢٧) .

(٢) - (تكم ١٩ : ١٠) .

بشارة الفداء بربط الشريط القرمزي على يد أخيه ، كما أن هذا يردز إلى أن اليهود أحرزوا تقدماً بسيطاً بقبولهم الناموس ولكنهم إرتدوا ، بينما إقتحم الأمم (١) ونالوا مليء النعمة . . . ثم أتى زارح بعد الأمم ثانية ، كما أن ثامار نفسها أحمية فيكون فارص قد أنجب من الأهمية (٢) .

+ ثم لماذا ذكر لوقا أسماء أكثر من التي ذكرها متى ؟ .

يبدو لي أن هذا ليبين لنا غنى الأمم في النعمة عن اليهود ، فلو كان غير يهودي ، بينما متى كان يهودياً . . . وفاضت النعمة على الأمم بغنى أكثر من اليهود ، كما أن بولس أيضاً رسول الأمم كانت معرفته واسعة ومستنيرة ، بينما بطرس رسول الختان كانت معرفته محدودة .

+ ثم لماذا ذكر سبي بابل . ولم يذكر النزول لمصر ؟ .

ذلك لأن سبي بابل كانت نتيجة خطاياهم . بينما النزول إلى مصر كان برغبتهم . . .

+ ولماذا ذكر إسم ابراهيم وإسحق ويعقوب وداود سليمان وزر بابل ؟ إن هذه الأسماء لم تذكر لإعتباطاً . . .

+ ولماذا ذكر أن يوسف خطيب مريم ؟

ذلك لكي يؤكد أنه ذكر سلسلة الأنساب هذه من أجل مريم العذراء .

+ ولئلا يعتقد أحد أن المسيح قد ولد حسب طبيعة البشر قال « أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا » لكي يبين لنا قصة هذه الولادة العجيبة .

عروس المسيح :

ثم يذكر راعوث وإراحاب أيضاً ، ليذكر تاريخ بني إسرائيل كله ... فالأولى غريبة ، والثانية زانية .. لكي يعلمنا أنه جاء ليعالج كل أمراضنا وليذكرنا بأنه كما اتخذ الآباء الأقدمون زانيات كزوجات لهم ، هكذا

(١) - الترجمة الحرفية لزارح هي الشرق .

(٢) - الكنيسة أنجبت من الأمم .

إتخذ هو الناس الذين زنوا بعيدا عنه . . إتخذهم زوجة ، لأن راعوث كانت غريبة وفقيرة وأصلها وضيع ، ولكن بوغز لم يحتقر كل ذلك ، بل إتخذها زوجة . .

وهكذا فعل المسيح معنا . . هي تركت شعبها وبيت أبيها . وهكذا تركت الكنيسة عوائد الناس ، من أجل محبتها في العريس . . .
وهكذا يقول داود للعروس « أتركي شعبك وبيت أبيك ، لأن الملك قد إشتهى حسنك » .

وكما صارت راعوث أمماً للملوك . هكذا صارت الكنيسة . . فقد صارت راعوث جدة لداود النبي . .

تعليم :

ولكى يعلمنا أيضاً أن لا نفتخر بأنسابنا ، ولا نمتدح أنفسنا ، لأننا إن مدحنا أنفسنا فالله لا يمدحنا . .

فبطرس الرسول إعترف بضعفه وقال « إخرج من سفينتي يارب لأنى رجل خاطيء » .

وقائد المائة قال « لست مستحقاً أن تدخل تحت سقف بيتي »
ويوحنا المعمدان صرخ قائلاً « لست مستحقاً أن أحل سيور حذائك »
والمرأة الغريبة الجنس قالت « والكلاب تأكل من الفتات الساقط من مائدة أربابها » .

الحاجة إلى الخلاص :

لقد قسم الأجيال من ابراهيم إلى المسيح لأربعين جيلاً (١) ، مقسمة إلى ٣ أقسام ، لكى يرينا أن الآباء والأسلاف تحت كل الظروف كانوا خطاة . .
في عهد الملوك وفي عهد السبي ، كلهم كانوا خطاة حتى أتى المسيح . .
ولكى يرينا أيضاً أنه حينما ضل الشعب سباهم الشيطان وأصبحوا في حاجة ماسة لمجىء المسيح . . .

(١) - التأمل الرابع (مت ١ : ١٧)

حَمَلُ وَصَّةِ الْمَلِكِ

+ « يوسف إذ كان باراً لم يشأ أن يشهرها » . . .

صمتت العذراء عن الدفاع عن نفسها ، فدافع عنها الملاك .

+ « كيف يكون لي هذا وأنا لست أعرف رجلاً » . .

ليس شكاً ، بل إستفساراً ، وهو دليل على أنها إعتزمت البتولية .

+ « يا يوسف ابن داود » . .

ليذكره بأصله الملكي ، وليذكره بأن المولود هو ابن داود .

+ « لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك » .

لينقذها عنها تهمة الفساد ، بقوله « إمرأتك » . . وكلمة « أن تأخذ » معناها أن تأخذها في بيتك ، لأنه كان مزماً أن يطردها من بيته ، لأنه كما أعطاها السيد المسيح لتلميذه لتعيش في بيته ، هكذا أعطاها الله ليوسف لتعيش في بيته . . .

يجب أن تتزع عنك (يوسف) الشكوك ، وتفرح أيضاً لأن الذي حل به فيها هو من الروح القدس .

+ « وتدعو إسمه يسوع » . . .

لأنك قد صرت أباً ، فلتهم به كأب . . « لأنها سوف تلد » ولم يقل أنها « سوف تلد لك » ، لأن المولود ليس له ، وليس منه ، بل من الله . . . لذلك جاء الملاك باسمه من السماء . .

+ « يخلص شعبه من خطاياهم » . . .

فهو مخلص من أخطر شيء وهو الخطية . . . كما ان قوله يخلص شعبه فيه إشارة لتخليص الأمم أيضاً ، لأن الكل شعبه . . . فهل خلصت من الخطية ؟ إن الإنسان الخاطيء أكثر رذاعة من الحيوان المفترس ، لأن الحيوان المفترس به عيب واحد . . . أما أنت فقد جمعت عيوب الحيوانات جميعاً ، فصرت أكثر الحيوانات إفتراساً . . . وقد صرت أردأ من الشيطان ، لأن الشيطان ليس عبداً للشهوة القنية مثلك ، وليس عبداً للشهوة البطن مثلك ، وليس كسولاً مثلك . .

+ « وهذا لكى يتم ما قبل بالنبي القائل بالرب (١) : هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو إسمه عمانوئيل الذى تفسره الله معنا (٢) » . . .
بعد ما قال الملاك ليوسف « مريم إمرأتك » ذكره بما قاله النبي أشعيا بأن إمرأتك هذه هى عذراء ، لئلا يتبادر لذهن أحد أنها قد صارت لسه إمرأة حقيقية .

يسوع وعمانوئيل :

لقد قال له أنك ستسمينه يسوع ثم قال « أنهم سيدعونه عمانوئيل الذى تفسره الله معنا » . . . أى أن عامة الناس سيسمونهم يسوع ، ولكن البعض فقط — ممن أحسوا بوجوده الإلهى وسطهم — سيدعونه « عمانوئيل » . . .

هو جاء من السماء مخلصاً ، وهناك أناس عرفوا أنه فى وسطهم ، وهذه إشارة إلى اتحاد اللاهوت بالناسوت . . . فهو دعى من السماء مخلصاً عاماً لكل البشر بقوة لاهوته ، بينما عرف البعض فقط بأنه فى وسطهم ، وهذا يشير إلى ناسوته الذى لم يمسسه إلا بعض البشر فقط .

(١) - التأمّل الخامس .

(٢) - (مت : ١ و ٢٢ و ٢٣ ، أش : ٨ : ٣) .

هناك بعض يقولون أن الترجمة الأصلية للفضلة « العندراء » هى « المرأة الصغيرة » وليس العندراء ، ولكن دنا مردود عليه بأن أشعياء يقول « هوذا الرب يعطيكم نفسه آية : هوذا العندراء تحبل (١) . . » فان كانت المرأة الصغيرة تلد ، فأين هى الآية إذن ؟ .

الخادم الأمين :

+ « فلما إستيقظ يوسف فعل كما أمره الملاك » . . .

أرأيتم إذن القلب المستعد للطاعة . . لقد فعل كما أمره الملاك ، وأخذ مريم إمرأته وصار خادماً لها . .

+ « ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر » . .

لقد إستعمل كلمة « حتى » لكى يوضح ميلاد المسيح العذراوى الكامل ، وليس لكى يشير إلى أنه عرفها بعد ذلك ، بل أراد أن يثبت حقيقة معينة .. كما استعمل قوله « إن الغراب لم يعد حتى جفت الأرض (٢) » . ومن جيل حتى جيل أنت كائن (٣) . . فاقدر إستعمل كلمة « حتى » للتأكيد والإستمرار .

ولكن من هم أخوته ؟ يعقوب ويهوذا ويوحنا بالطبع لم يكونوا أخوته حسب الجسد ، لأن الكتاب ذكر أنهم لم يكونوا يؤمنون به (٤) . .

-
- (١) - (أش ٧ : ١٤) .
 - (٢) - (تذك ٨ : ٧) .
 - (٣) - المزمير .
 - (٤) - أى قبل دعوتهم .



لم يجد لها موضع في المنزل

لقد دعوا إخوته كما دعيت مريم أمه ، وكما دعى يوسف أبوه . . .
لقد تغير إخوته وصاروا تلاميذه ، وصار يعقوب أسقفا على أورشليم
واستضاف بولس ، لأنه كان مضيفا للغرباء .

النجم الإلهي

« وحين ولد يسوع فى بيت لحم اليهودية فى أيام هيرودس الملك ، إذ مجوس أتوا من المشرق إلى أورشليم قائلين : أين هو المولود ملك اليهود ، فاننا قد رأينا نجمة فى المشرق ، وأتينا لنسجد له (١) » .

إننا محتاجون الآن ليقظة أكثر ، ولصوات كثيرة ، حتى نعرف تفسير هذه الأمور . . .

فمن هم المجوس ؟ ومن أين أتوا ؟ وماذا يكون النجم . .

لنعرض الآن لأقوال المقاوين :

قالوا إن ظهور النجم - ليعلن ميلاد المسيح - يؤكد صحة علم التنجيم ، بدليل أن المجوس قد علموا من النجم أخبار المولود ، وأنه ملك اليهود وأنه ليس ملكاً من هذا العالم . . .

ولكن لو كان التنجيم فعلاً صحيحاً ، وهم قد عرفوا من النجم أن الذى ولد هو ملك اليهود ، فلماذا أتوا ؟ .

إن هذا ليس من عمل المنجمين . . وكانوا قد عرفوا من هذا الذى ولد فى الساعة التى ظهر فيها النجم ، ولكنهم لم يعرفوا وقت ولادته ، ولم يدركوا ماذا حدث من حركة النجم . . .

ثم لماذا أتوا ليسجدوا لملك اليهود ؟ .

(١) التأمّل السادس (مت ٢ : ١ و ٢) .



المجوس يتأملون النجم الإلهى الساطع فى السماء

إنه لم يملك عليهم حتى يمكن أنه يقال أنهم أرادوا أن يعلنوا خضوعهم
له . . ولماذا تحملوا كل هذه المتاعب ؟ .

لأنهم لو كانوا قد وجدوه فى قصر الملك ، ثم سجدوا له ، وقدموا له
الهدايا ، لقلنا إن ذلك كان من أجل أبيه الملك ، ولكنهم سجدوا لطفل
ملفوف فى أسمال بالية ، فى منزل فقير . .

إنهم لم يروه ملكاً حتى يقدموا له الهدايا ، ثم لماذا سجدوا له وهو مقمط في أقماط بالية ؟ .

ولو فرضنا أنهم فعلوا كل ذلك نتيجة حماقتهم . فلماذا إنصرفوا من طريق آخر ، بعد أن جعلوا الكل يضطربون ؟ .

ثم أى علامة من علامات الملك رأوها ؟ . . هل فى الأسماك البالية ؟ أم فى الطفل الرضيع . . أم فى المذود . . أم فى الأم الفقيرة والأب الفقير ؟ ولمن قدموا هداياهم . . . ولأى هدف قدموها ؟

إن كان لإسترضاء الطفل الذى سيصير ملكاً ، فلماذا كانوا ينتظرون منه من العطايا ؟

إنهم كانوا ملوكاً على عروش . ثم هل كانوا ينتظرون أن يعرفهم الطفل المقمط حين يصير ملكاً ؟ .

وإن كانت أمه ستذكره بما فعلوه . فانهم كانوا يستحقون العقاب ، لأنهم عرضوا حياته للخطر . . .

أرأيت هكذا كيف تتضح الأدوار بفحصها حسب أمور البشر ، وحسب أحكام البشر وعوائدهم . . . وهكذا يتضح لنا ان معرفتهم بالمسيح لم تكن معرفة بتخمين ، وإنما معرفة من نوع خاص عال .

قوة غير منظورة :

فإذا إذن كان هذا النجم ؟ وما نوعه . . هل كان نجماً عادياً أم نجماً غير عادى . . أم أنه ملك أخذ قوة غير منظورة اتخذت فقط شكل النجم . لو عرفنا ذلك ، لعرفنا بقية الأمور الأخرى . . . فذلك النجم لم يكن نجماً عادياً كسائر النجوم . بل لم يكن نجماً على الإطلاق ، كما يبدو لى أنا على الأقل ، بل قوة غير منظورة أخذت شكل النجم ، كما سنرى من الوقائع الآتية :

(١) لأنه لا يوجد نجم يتحرك من الغرب إلى الشرق ، كما تحرك هذا النجم من بلاد فارس في الغرب ، إلى فلسطين في الشرق . . . لأن كل النجوم والشمس والقمر والكواكب كلها تتحرك من الشرق للغرب . .

(٢) كما أن هذا النجم كان يظهر في منتصف النهار بخلاف باقي النجوم ، بل كان نوره أنصع من نور الشمس ، لأن نوره كان يظهر والشمس ساطعة .

(٣) إنه كان يظهر ثم يختفي . فقد اختفى بمجرد دخولهم أورشليم ، ثم ظهر بعد خروجهم منها ، ثم انه اختفى بعد أن أشار على بيت المسيح .

(٤) كما أنه كان ينظر حيناً ينتظرون ، ويمشي حين يمشون حسب طلبهم . . فهذا لم يكن نجماً عادياً ، بل كان مثل عمود السحاب الذي كان يقود بني إسرائيل في البرية .

(٥) كما أنه كان يرتفع وينخفض . حتى أنه أمكنه أن يقودهم في الطريق بارتفاعه ، ثم انخفض حتى أشار على البيت .

كل هذه الأدلة تثبت أن النجم لم يكن إلا خليقة غير منظورة . .

توبيخ اليهود :

وحجج المجوس وسجودهم للمسيح كان لتوبيخ اليهود وإظهار بلادتهم ، وإظهار أن الأمم سيقبلون المسيح ، بينما هم يطلبون أن يقتلوه . .

وقد ظهر النجم للمجوس ليبشرهم بالطريقة التي تلفت نظرهم وتثير إعجابهم ، فأظهر لهم هذا النجم العجيب ليلفت نظرهم ، وحين آمنوا وسجدوا للمسيح ظهر لهم الملاك وقال لهم أن يذهبوا في طريق آخر .

لنتعلم أن نكلم الناس بالأسلوب الذي يفهمونه ، كما فعل بولس في آريوس باغوس ، إذ استخدم الإله المجهول وأشعارهم في حديثه عن المسيح . .

وقال الكتاب عن المجوس أنهم رجال حكماء . لأنهم فهموا أوامر الله ونفذوها . . « رأس الحكمة مخافة الرب » . . .

ليتنا نكون حكماء كالمجوس . ونفهم ما يريد أن يقوله لنا الله ، وتتب إرشاداته وأوامره .

وحين رجع المجوس لبلادهم أخذوا يبشرون كل أهل البلاد بنشاط وهمة ، حتى أنه حين ذهب توما وبشر هذه البلاد إعتمدوا جميعهم . . .

إضطراب هيرودس :

هيرودس إضطرب خوفاً على ملكه . . فلماذا إضطربت أورشليم ؟ إضطربوا لعلمهم أن هذا مخلص سيخلصهم من الغلاء ، ولأنهم أيضاً تذكروا خطاياهم وبعدهم عن الله . . . بينما الله لم ينس وعوده لهم . .

كما أنهم اضطربوا لما رأوا أن ملكهم قد اضطرب ، لأنه كان مغتصباً للعرش . . . وعرفوا أن الملك الحديد سيسترد منه العرش ، وهذا بالطبع لن يكون سهلاً ، بل بسفك دماء كثيرة حسب ظنهم .

إنظروا . . وتعلموا :

أنظروا كيف أن البعيدين عن الله صاروا أقرب منا إليه ؟ . إنظروا المجوس . . . إنظروا بولس الذي صعد إلى السموات الثالثة . . . وموسى الأسود وأغسطيوس وأرسابوس . . . كلهم كانوا بعيدين ثم صاروا أقرب منا إلى الله . . . دموعهم مسحت خطاياهم ، فالدموع تمسح خطايانا وتساعدنا على التوبة وتقربنا لله . .

ولكن كيف يقول بولس « إفرحوا في الرب كل حين » . . . إن هذا الفرح ينبع من الدموع ، لأنه كما أن مسرات العالم تولد الحزن ، هكذا الحزن الذي بحسب مشيئة الله يولد فرحاً لا ينطق به ومجيد . . .



هرو دس يسأل رؤساء اليهود عن مكان المولود من النبوات المذكورة في كتبهم :
 ولهذا صارت المرأة الزانية مكرمة أكثر من عذارى كثيرات لأنها
 أمسكت من هذه النار . . . نار رأسها . . . لقد تمتعت بفرح عظيم نتيجة
 دموعها ، حتى أن كل من يسمعها يفرح معها . . . لأنه كما أن السماء
 تصفو بعد أن يتزل الغيم أمطاره ، هكذا يهدأ الإنسان وتصفو نفسه وتمسح
 خطاياها بعد أن تهطل دموعه . . . لأنه كما بالماء والروح يولد الإنسان الولادة
 الثانية ، هكذا بالدموع والإعترافات ينال الإنسان المعمودية الثانية . . .
 إلى أريد هذه الدموع التي لأجل الله ، التي تخرج من العقل في صمت
 وعلى إنفراد . . .

الفصل الخامس

في بيت لحم

« وحينما جمع كل رؤساء الكهنة والكتبة سألهم أين يولد المسيح . فقالوا له في بيت لحم اليهودية (١) » .

المحوس بشروا اليهود بميلاد المسيح ، واليهود بدورهم أخبروا المحوس بأنه كان منذ القديم هو مشتهى كل الأجيال

« وانت يا بيت لحم بيت يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا » إنها على الأقل سارية للمدن العظمى التي هي أورشليم أو اعظم منها ، لأن منك يخرج مدبر يرعى شعب إسرائيل ، ولو وضعنا في الاعتبار قول بولس الرسول « إنه ليس كل من هم من إسرائيل هم إسرائيليون ، ولكن كل من ولد من الإيمان (٢) » . . . لوجدنا أن بيت لحم صارت أعظم قرية في العالم كله ، لأن منها خرج مدبر كل الأمم ومشتهى كل الأجيال . .

قتل الأطفـال : ال

إنه تصرف جنوني من هيرودس أن يحاول قتل الصبي الذي تنبأ عنه الأنبياء ، وأنى ليسجد له محوس متقادين بنجم . . .

لو كان هيرودس يؤمن بالأنبياء فكيف يحاول قتل الصبي الإلهي ؟ . وإن كان لا يؤمن بالأنبياء ، فلماذا يتعب نفسه بمحاولة قتله ؟ . ولسكن الشر دائماً يعمي أصحابه . . .

(١) التأمّل السابع (مت ٢ : ٤ و ٥) .

(٢) - (رو ٩ : ٦)

ولماذا دعاهم سرّاً ؟ . . . حتى لا يعرف اليهود الذين ينتظرون المخلص ..
ولماذا قتل الأطفال من سن سنتين فما دون ؟ . . . هذا حسب ظهور
النجم ، وأعتقد أنه ظهر لهم قبل ولادة المسيح ، حتى يمكنهم أن يصلوا
وقت الولادة تماماً . . . وقال إذهبوا وإجثثوا بالتدقيق عن « النصبى » ،
وليس عن « الملك » لأنه لم يكن مزمماً أن يعترف بأنه « ملك » .

ثم لماذا ظهر لهم النجم ثانية بعد أن خرجوا من أورشليم ، وبعد أن عرفوا
مكان الولادة من الكتبة والفريسيين ، الذين إسندادهم دبرودس ؟ . لقد
ظهر لهم لكي يعرفهم البيت الذى فيه الطفل . . . ولكي إذا رأوه طفلاً
مقسطاً فى أسمال بالية ، وأمه فقيرة وأبوه فقير ، لا يتشككون فى شخصيته . .

نعالوا لنسجد له :

دعنا نفعل الآن مثلما فعل الجوس . . . لنترع أنفسنا من عاداتنا البربرية
ونبتعد عنها جداً حتى نجد المسيح . . لأنهم لو لم يتركوا بلادهم لما وجدوا
المسيح . . .

لنبتعد عن الأمور الأرضية ونتركها بعيداً جداً حتى نجد المسيح ، لأنه
هكذا فعل الرجال الحكماء حينما رأوا النجم ، بينما نحن قد رأينا شمس البر . .

دعنا نقوم كما قاموا ، ونذهب إلى بيت الملك حتى ما يضطرب كل
الناس ، ويتبعنا كل الناس وكل الأمم وكل الشعوب . . .

نيت رغبتنا هذه لا تنطفى ، بل لتخطى كل الصعاب وكل المتاعب ،
حتى نصل إلى بيت الطفل الإلهى ، ولا نهذاً حتى نسجد له مقدمين له
هدايانا . .



« حينئذ يهدأ كل شيء حين نسجد له ، ويظهر لنا ملاك ليقودنا بدلا
من النجم . . . »
لنقترب لكي نسجد له بدموع وتقوى ، ولنقدم له الذهب الذي لنا ،
لا نقدمه بل نطرحه تحت قدميه . . .
هدايا المحوس :

« ولما أتوا إلى البيت رأوا الصبي مع مريم أمه (١) » . .

(١) - التأمل الثامن (مت ٢ : ١١) .



لماذا قال لوقا أن المسيح كان موضوعا في مذود ، بينما يقول متى أنه
كان موضوعا في البيت ؟ .
ولكن أقول إن العذراء بعد أن ولدت في المذود أخذته على ركبتيها . .
لكن لماذا سجدوا وقدموا له هداياهم ؟ .
وهداياهم كانت مقدمه له ، ليس كملك فقط بل كاله . . لأن المر
واللبان لا يقدمان إلا للآلهة . .
إن الظواهر التي حدثت كلها من ظهور النجم والنبوءات التي سمعوها
في أورشليم . . . كل ذلك جعلهم يعرفون أن هذا الطفل هو إله وخالق . .



« وبعد ما انصرفوا إذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف في حلم قائلاً :
قم وخذ الصبي وأمه وأهرب إلى مصر (١) ... »
وحين قال لهم الملاك أن يسيروا في طريق آخر ...
لماذا لم يتشككوا ؟ إن هذا يوضح لنا مقدار إيمانهم به . . ولكن لماذا ظهر
الملاك للمجوس يأمرهم أن يذهبوا في طريق آخر . .

ثم ظهر ملاك ليوسف يأمره بالذهاب لمصر ؟ . . . هذا للآتى :
١ - لكي يؤكد الطبيعة البشرية للمسيح ، لئلا يقول أحد أنه ليس
إنساناً ، بل إله فقط . .

٢ - لكي تكون تجربة لإيمان المجوس . . .

٣ - ولكي يكون إشارة إلى أنه جاء لليهود ، ولكنهم طردوه وأرادوا
أن يقتلوه ، فذهب إلى الأمم . . .

٤ - وقتل الأبرياء كان إشارة لقتل القديسين المؤمنين بالمسيح . .

التعزيات والضيقات :

وقال الملاك ليوسف « خذ الصبي ، أمه » ولم يقل « زوجتك » ... هذا
الكلام بعد الولادة لكي يثبت أنها لم تصير زوجة له بعد ولادة المسيح ، بل
علاقتها مازالت مع المسيح وليست معه . .

(١) - (مت ٢ : ١٣) .

« واهرب إلى أرض مصر لأن هيرودس مزع أن يطالب الصبي ليهلكه ..
لقد بين سبب الهروب ليوסף حتى يجربه ، هل يعثر بالصبي الإلهي أم
لا ؟ .

هذا لكي يخطط التعزيات بالضيقات ، وكان هذا هو طريق القديسين
على طول العصور . . .

ليست عزيات مستمرة ولا ضيقات مستمرة . ولادة إلهية ورعاة
آتون ، وجوس قادمون ، ثم هروب إلى أرض مصر . . وإضطراب
هيرودس وكل أورشلیم . . ثم نجم معزى ، ثم قتل للأطفال . .

ولكن نتعلم أن الله يسمح لنا بالتجارب ، ولكنه يكون معنا فيها ، كما
كان مع الثلاثة في آتون النار ، ومع دانيال في جب الأسود ، ومع يوسف
في مصر . .

لنتنا نضع هذه الأمور في قلوبنا ونحمل الضيقات والتجارب ، عالمين
أن الرب سيكون معنا فيها . .





« حينئذ لما وجد هيرودس أن الخوس قد سخروا به غضب جدا (١) .
لم يكن هذا الوقت وقت الغضب ، بل كان وقت الخوف . . . كان
يجب أن يعلم أنه يحاول المستحيل . . . ولكن حين يعنى القلب لا تجدى معه
تكل محاولات الأطباء الدرجين (٢) .

لقد غضب من الخوس الذين هزأوا به ، فأمر بقتل الأبرياء . . لتأمل جيدا
في هذا الأمر ، لأننا كثيرا ما نصب جام غضبنا على الأبرياء . .

لماذا هرب الصبي المقصود بالقتل ، بينما قتل الأطفال بدلا منه ؟ .

لم يكن المسيح هو السبب ، بل قسوة هيرودس هي التي كانت السبب . .
ما ذنب هؤلاء حتى يقتلوا ؟ .

في رأي أنهم قتلوا معاقبة لآبائهم الذين كانوا قساة القلوب ، ورفضوا
أن يقبلوا العذراء مريم وهي على وشك الولادة في بيوتهم . .

وهكذا كان لكي يتم قول النبي « صوت سمع في الرامة ، راحيل
تبكي على أولادها » . .

ما علاقة الرامة براحيل ؟ .

(٢) - الأطباء الحاذقين .

(١) - التأمل التاسع .

إن راحل هى أم بنيامين ، وعند موتها دفنت فى مكان يسمى « بيت الحصان »
The Rorse course القريب من ذلك المكان (١) . . .

فالقبر كان قريبا ، وهذا المكان كان من نصيبه بنيامين إنما لأن
الرامة من سبط بنيامين ، فهى طبعا تبكى أولادها الذين ذبحوا . . . ولكي
يرينا عظم القسوة التى تمت بها هذه المذبحة ، قال « إن راحيل لا تريد أن
تتعزى ، لأنهم ليسوا بموجودين » .

إن كل ما حدث ، هو حسب الظاهر ، ضد مواعيد الله ؟ لأنه كيف
يكون المخلص الذى يخلص هذا العالم . . . وكيف يكون الله معنا ؟ ثم يحدث
كل هذا الضيق فى ولادته ؟ . .

أمه لا تجد مكانا تلده فيه ؟ . . ويقتل الأطفال الأبرياء ؟ وتهرب الأسرة
كلها إلى أرض مصر . . . كيف يحدث هذا كله ؟

هذا لكى يعلمنا أن الضيق والألم والإضطهاد أمر مفروض على الجميع ،
لأنه أصابه هو أولا . . حتى لا يتذمر تلاميذه إذا إضطهدوا أو تضايقوا . . .

العودة إلى الوطن :

ولما مات هيرودس ظهر الملاك ليوسف وقال له « خذ الصبي وأمه
وأذهب إلى أرض إسرائيل » . .

ثم يقل له « إهرب » بل « إذهب » لأن الضيقة قد إنتهت . . .

ولكن كيف أرخيلالوس يملك على اليهود ، بينما بيلاطس هو الوالى بعد
موت هيرودس ؟

لقد ملك أرخيلالوس - ابن هيرودس - على اليهودية مؤقتاً بدلاً من أبيه هيرودس قبل أن تقسم إلى أربعة أقسام . . . بينما ملك هيرودس - أخو أرخيلالوس - على الجليل ، ولكن كيف يخاف من أرخيلالوس ، لأنه يملك على اليهودية ، بينما لا يخاف من هيرودس وهو يملك على الجليل ؟

بالطبع قد كانت الأنظار مساطة على بيت لحم واليهودية ، فكان من الطبيعي أن يغير ذلك المكان إلى الجليل . . .

ومضى وسكن في الناصرة موطنه . . . وإذ تلقى موافقة من الملاك ، لكي يتم ما قيل في الأنبياء « إنه سيدعى ناصرياً » . . .

غرباء على الأرض :

من هذا نتعلم أننا غرباء في هذا العالم ، كما عاش المسيح غريباً على هذه الأرض . . . ليس له أين يسند رأسه . . . كما عاش إبراهيم وإسحق ويعقوب في خيام غرباء على هذه الأرض . . .

لكي لا يفتخر أحد ببلده أو موطنه ، فتيموثاوس كان أبوه يونانيا ، وبولس قال « ليس كل الذين هم من نسل إسرائيل هم إسرائيليون ، بل أبناء الموعد (١) » ، « ولكن كل الذين قبلوه صاروا أولاداً لله (٢) » . . .

فلا تفتخر إذن بأصلنا أو بثروتنا أو بالنسب والحسب ، ولا نخترق الفقراء أو الذين هم بسطاء في المولد أو النسب ، ولنسعى لكي نحصل على هذه الثروة من الأعمال الصالحة . . .

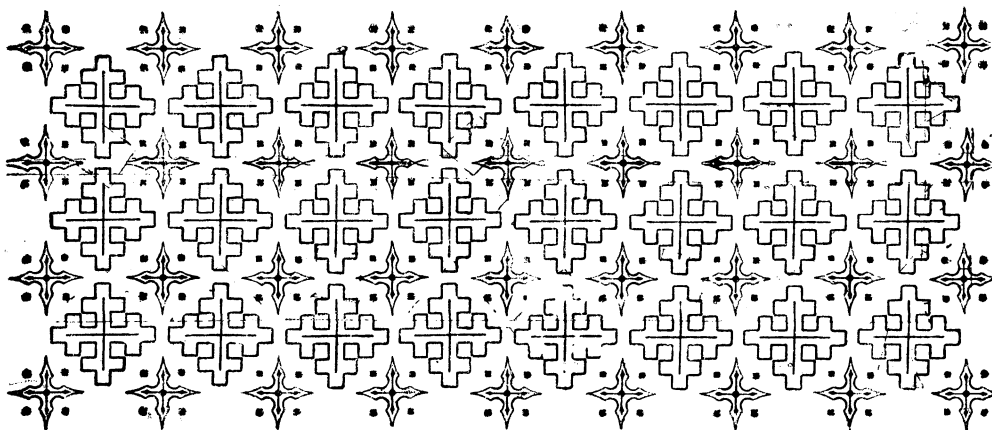
(٢) - (يو ١ : ١٢) .

(١) - (عب ١١ : ١٤ و ١٥) .

المراجع الرئيسة

- ١ - الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد .
- ٢ - « مروج الأخبار في تراجم الأبرار » - بطرس فرماج اليسوعي
طبعة سنة ١٨٨٠ م .
- ٣ - « يوحنا فم الذهب » منسى يوحنا وعبد القادى القاهرانى - مركز
المطبوعات المسيحية - طبعة خامسة سنة ١٩٦٥ م .
- ٤ - « مقالات يوحنا فم الذهب » دار العرب للبستانى - طبعة أولى
سنة ١٩٦٥ م .

The Writing of : The Nicene and Post Nicene Fathers, — ٥
First series, St. J. Chrysostom.



محتويات الكتاب

الصفحة

| | | | | | | | |
|----|-----|-----|-----|-----|-----|-----|--|
| ٧ | ٥٥٥ | ... | ... | ... | ... | ... | ١ - مقدمة |
| ٩ | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ٢ - ملخص تاريخ حياة القديس متى |
| ١٧ | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ٣ - ملخص تاريخ حياة القديس يوحنا ذهبي الفم |
| ٢٩ | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ٤ - الفصل الأول : تمهيد |
| ٣٥ | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ٥ - الفصل الثاني : رموز ومعاني روحية |
| ٤٠ | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ٦ - الفصل الثالث : حول قصة الميلاد |
| ٤٤ | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ٧ - الفصل الرابع : النجم الإلهي |
| ٥٠ | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ٨ - الفصل الخامس : في بيت لحم |
| ٥٤ | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ٩ - الفصل السادس : الذهاب إلى مصر |
| ٥٦ | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ١٠ - الفصل السابع : غضب هيرودس |
| ٥٩ | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ١١ - المراجع الرئيسية |

مطبوعات لجنة الثقافة القبطية

أولا - من أقوال الآباء :

- قرش
- ١ - تأملات في الصلب والقيامة والصعود
للقديس يعقوب السروجي ٩ نفذ
- ٢ - تأملات في البشارة والتجسد الإلهي
لمشاهير الآباء القديسين ٥ نفذ
- ٣ - الملائكة ١٢ نفذ
لمشاهير الآباء القديسين
- ٤ - تأملات في البشارة والتجسد الإلهي
للقديس يعقوب السروجي ٥ نفذ
- ٥ - الروح القدس ٥ نفذ
لمشاهير الآباء القديسين
- ٦ - تأملات في حياة المسيح ٥ نفذ
(خدمة الهيكل - عماده - صومه - تجربته)
للقديس يعقوب السروجي
- ٧ - المعاني الروحية لأسبوع الآلام ٤ نفذ
لمشاهير الآباء القديسين
- ٨ - تأملات في انجيل القديس متى ١٤
للقديس يوحنا ذهبي الفم

ثانياً — مطبوعات قداسة البابا شنودة الثالث :

قرش

| | | |
|-----|-----|--------------------------|
| ٧ | نقد | ١ — الغضب |
| ٤ | | ٢ — لطف الله |
| ٣ | | ٣ — الإلتضاع |
| ٣ | | ٤ — مخافة الله... .. |
| ٣ | | ٥ — عناية الله |
| ٣,٥ | | ٦ — محبة الله |
| ٣ | | ٧ — الكتاب المقدس |

ثالثاً — مطبوعات أخرى :

| | | |
|----|-----|--|
| ١٠ | نقد | ١ — دراسات في انجيل القديس يوحنا |
| | | (الجزء الأول) |
| | | الدكتور موريس تاوضروس الأستاذ |
| | | بالإكليريكية |
| ٥٠ | | ٢ — مجلة رسالة الكنيسة . . . الإشتراك السنوى . . . |
| | | مجلة شهرية تصدر في عشرة أعداد |

+ + +

هذا الكتاب . . .

يقدم لنا تأملات رائعة للقديس يوحنا
ذهبي الفم بطريرك القسطنطينية في إنجيل
القديس متى الرسول عن حوادث الميلاد
الحيد . . .

فجعلنا نسمو بأفكارنا ونخلق بأرواحنا
متأملين في ميلاد ربنا يسوع المسيح بالحسد
من القديسة الطاهرة مريم البتول ويجعلنا
نفرح مع الملائكة ونرم قائلين « الحمد
لله في الأعلى وعلى الأرض السلام وبالناس
المسرة » . .

+ + +

يطلب من مكتبة كنيسة الملاك ميخائيل
بدمهور وجميع المكتبات المسيحية الشهيرة
بأنحاء الجمهورية .

الشمس ١٢ قرشاً